

الدراسات التراثية

(الفكر الجغرافي وتصور المكان عند العرب)

د. أحمد الأصفر
د. أمل حمدي دكاك

قسم علم الاجتماع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

تتناول المحاضرة موضوع المشكلة التراثية من خلال موضوعين فرعيين، هما:
مراجعة مضمون كتاب الجغرافية عند العرب لمؤلفه شاكر خصباك أولاً،
وتصورات العرب المسلمين لمفهوم المكان والفجوة التي تفصل التراث عن
المعاصرة ثانياً.

- كتاب الجغرافية عند العرب، تأليف شاكر خصباك (١٩٨٦)، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

- تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية
الفهم

الموضوع الأول

- كتاب الجغرافية عند العرب، تأليف شاعر خصباء (١٩٨٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

علم الجغرافيا عند العرب (مقدمة)

أنماط التراث الجغرافي العربي

أولاً : المصنفات الفلكية

١ - المفاهيم حول شكل الأرض وحركتها

٢ - طرق ووسائل تحديد مساحات وحجم الأرض

٣ - تحديد مواقع الأرض فلكياً

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

ثانياً: المصنفات البلدانية

١ - الأخذ بفكرة الإقليم

٢ - إيضاح العلاقات المكانية

٣ - الاهتمام بالخارطة

٤ - الالتزام بالمعلومات الجغرافية

معطيات الجغرافية البلدانية

قارة أوروبا

قارة آسيا

قارة افريقيا

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

ثالثاً: المصنفات الكوزموغرافية

١ - الحقل المناخي

٢ - الحقل الهيدروغرافي

٣ - الحقل الجيومورفولوجي

الخلاصة

الهوامش

خرائط للجغرافيين العرب القدامى

• شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

يعتبر الخوارزمي (ت ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) على رأس أولئك المؤلفين، ويعتبر كتابه «صورة الأرض» من أشهر المؤلفات الجغرافية المبكرة. وقد ترك أثراً عظيماً على الكتاب اللاحقين. وقد اختلف الباحثون في حقيقة هذا الكتاب، فاعتقد البعض بأنه ليس سوى ترجمة مختصرة لكتاب (جغرافيا) لبطليموس القلودي، في حين اعتقد آخرون بأنه لا يمكن اعتباره نسخة مختصرة لكتاب بطليموس لكنه استفاد من معلوماته بدرجة كبيرة. فطريقة توزيع أقاليم الخوارزمي تختلف عن طريقة بطليموس، حيث إنها رُتبت على طريقة الأقاليم السبعة التي عرفها المسلمون قبل معرفة كتاب بطليموس، وقد أصبحت مذهباً شائعاً في المصنفات الفلكية، في حين أن بطليموس عدّد في كتابه إحدى وعشرين منطقة. كذلك وزّع الخوارزمي في كتابه الجبال والأنهار والبحار والمدن بطريقة مغايرة لبطليموس، حيث انه ذكرها بصورة منفردة حسب كل إقليم، في حين أن بطليموس قد وزعها حسب المناطق، ثم إنها قلما اتفقا على تحديد الأبعاد الجغرافية للأماكن المختلفة.

• شاعر خصباء (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

والكتاب الثاني من كتب الجغرافية الفلكية أو الرياضية الذي يكتسب أهمية خاصة هو كتاب سهراب المعنون (كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة). وقد اختلف الباحثون في اسم المؤلف، فالبعض يعتقد أن اسمه (سرابيون)، في حين يعتقد البعض الآخر أن اسمه أبو الحسن بن البهلول. كذلك اختلف الباحثون حول عنوان الكتاب وحول سنة تأليفه وقد حدده كراتشكوفسكي فيما بين أعوام ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م إلى ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م. ويبدو تأثر المؤلف بكتاب الخوارزمي، واضحاً، فهو ينحو منحاه تماماً. غير أنه يستفتح كتابه بمقدمة عن كيفية رسم «صورة» [خارطة] الأرض، وكيفية استخراج أطوال وأعراض المواضع الجغرافية.

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

أما البيروني (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) فكان عالماً متعدد الاختصاصات ضمن حقل الجغرافيا والعلوم الأخرى. وقد اشتملت مساهمته في التراث الجغرافي العربي في حقل المصنفات الجغرافية الفلكية وفي حقل المصنفات البلدانية، وكان مبرزاً في كلا الحقلين. وقد عالج المواضيع الجغرافية الفلكية في كتب عديدة وأبرزها كتاب (الأثار الباقية من القرون الحالية) وكتاب (القانون المسعودي) وفي هذا الباب تكتسب أهمية خاصة آراؤه في توزيع البحار وإحاطتها بالأرض، واعتقاده بأن المحيط الهندي يتصل بالمحيط الأطلسي في جنوبي القارة الأفريقية. كما تكتسب آراؤه الفلكية ومحاولاته لقياس محيط الأرض ورأيه في حركاتها أهمية خاصة أيضاً.

• شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

المفاهيم حول شكل الأرض وحركتها

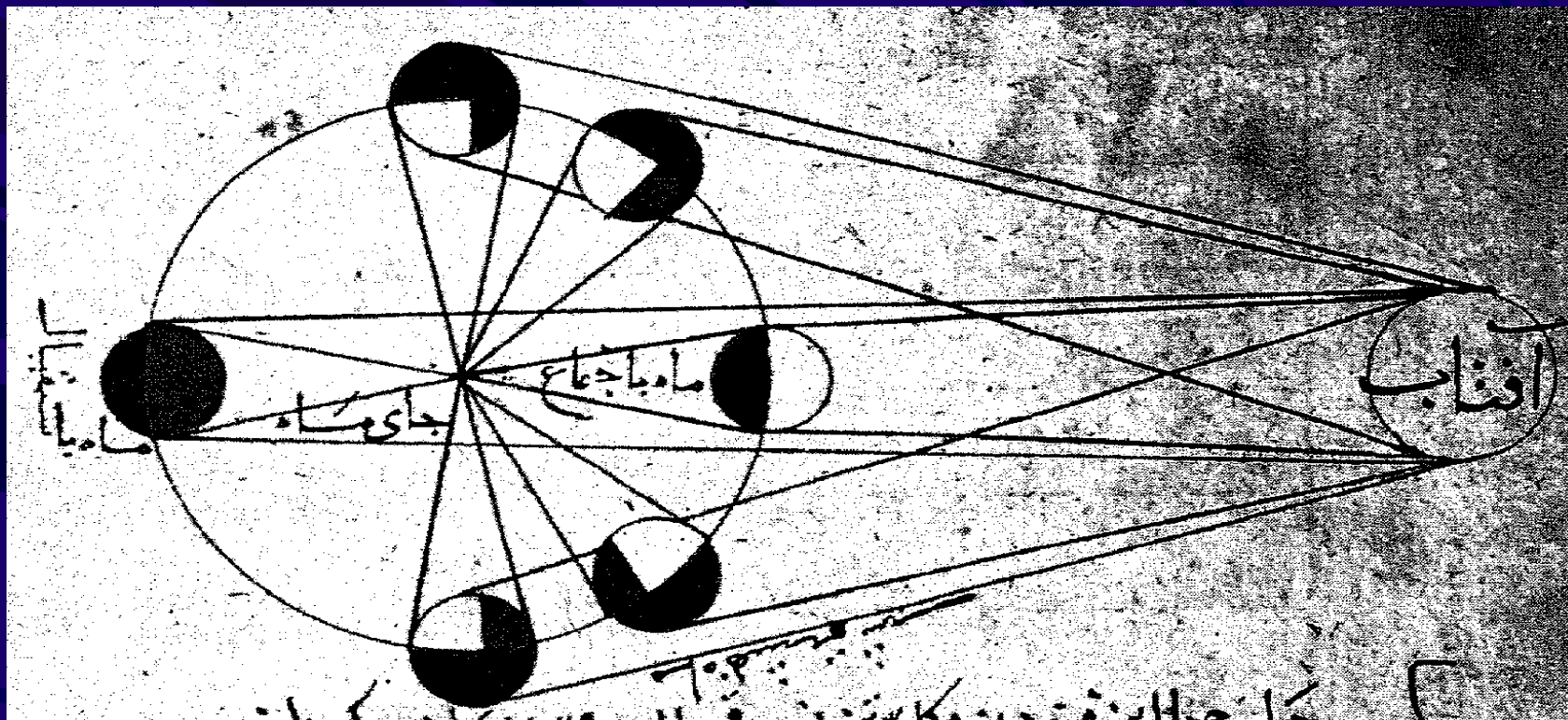
لا ريب أن الجغرافيين العرب والمسلمين قد تأثروا في آرائهم عن الأرض بالآراء اليونانية - الرومانية ولا سيما بآراء أرسطو وبطليموس . وكانت الفكرة السائدة عن الأرض لدى العرب في البداية أنها مسطحة . غير أن الجغرافيين والفلكيين العرب سرعان ما نبذوا تلك الفكرة منذ شاعت بينهم آراء بطليموس وآمنوا جميعاً بكروية الأرض . وظهر تأثرهم بالآراء اليونانية كذلك في اعتقادهم بأن الأرض تحتل مركز الكون، وأنها محاطة بالبحار . ويمكن القول إن آراءهم عن الأرض باتت تحكمها ثلاث فرضيات : الأولى أنها مدوّرة، والثانية أنها ثابتة في مركز الكون، والثالثة أنها محاطة بالبحار . وقد اعتاد معظم الجغرافيين العرب أن يصدروا مؤلفاتهم بتلك الفرضيات الثلاث .

• شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.



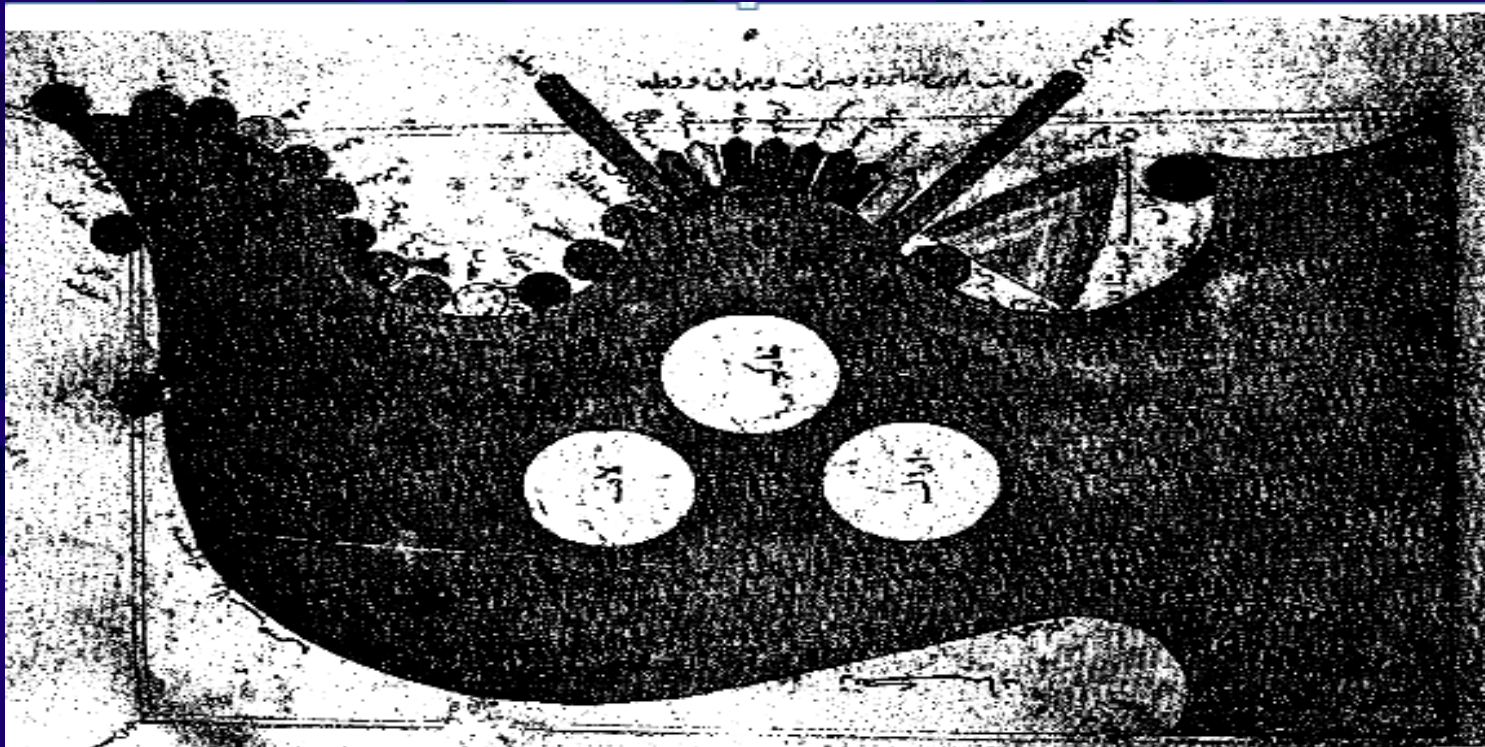
تمثل هذه الصورة شكلا
متعدد الأيدي يصور قدرة
الكواكب من «عجائب
المخلوقات» لمحمد الطوسي
من القرن العاشر للهجرة
(السادس عشر الميلادي)

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.



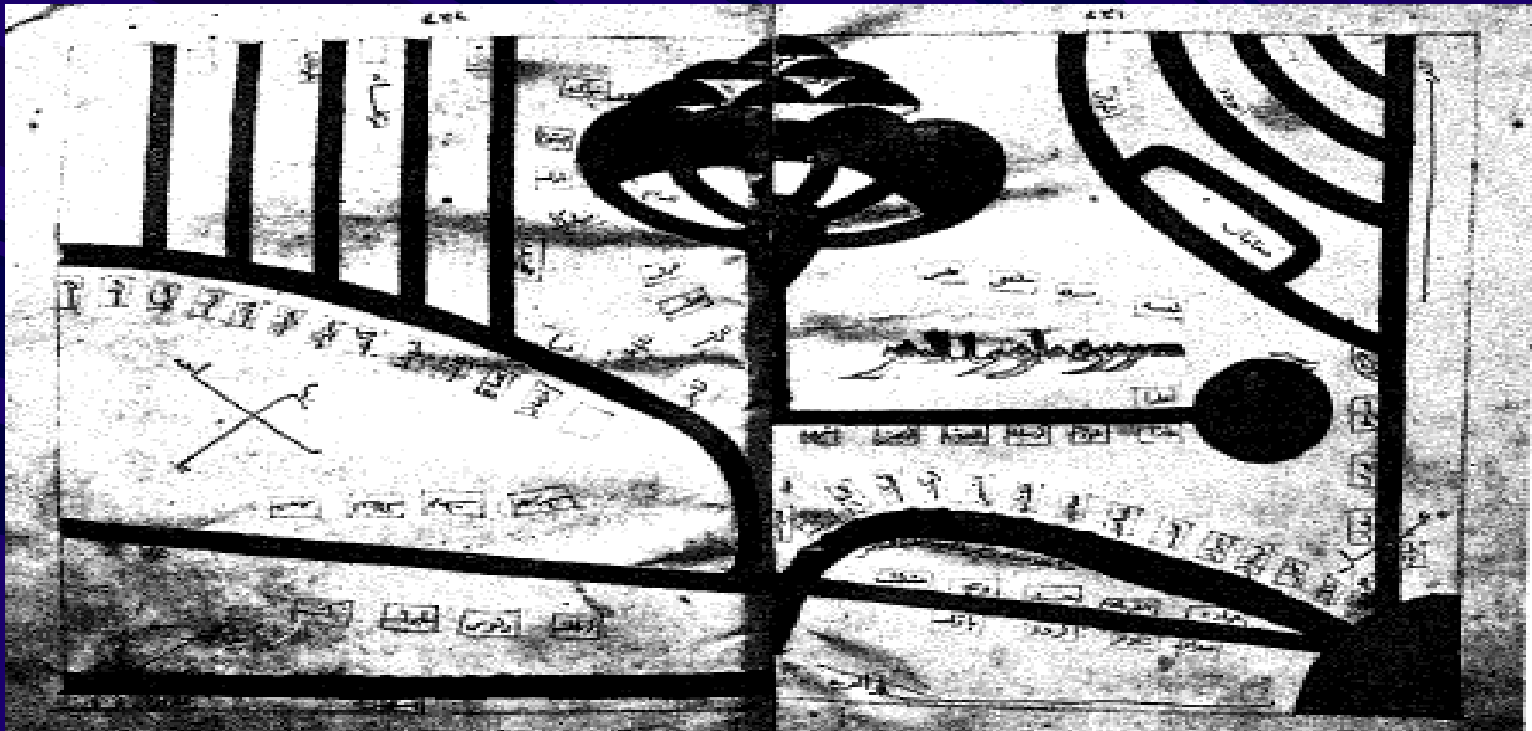
تمثل هذه الصورة رسماً للبيروني يبين من خلال خسوفات القمر

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.



تمثل هذه الصورة رسماً لسواحل الجزيرة العربية وفارس حسب خريطة
الاسطخري في القرن الثامن

- شاكِر خصباك (١٩٨٦)،
الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.



تمثل هذه الصورة آسيا الوسطى وما وراء النهر حسب خريطة بن حوقل

الموضوع الثاني

تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية
بين مطلق النص ونسبية الفهم

• تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

تشكل القطيعة بين العقيدة الدينية والفكر العلمي واحدة من أكثر التحديات الثقافية والفكرية التي تجابه الفكر الديني عامة، والعقيدة الإسلامية بشكل خاص، وتسهم في دفع العدد الكبير من الشباب المسلم إلى جعل الفكر العلمي معياراً للحكم على القضايا الدينية بصورة عامة، بصرف النظر عن الأبعاد الشرعية والفقهية لهذه الأحكام، وقد يتخذ الكثيرون منهم مواقف سلبية من الاعتقادات الدينية، وفق التصورات المطروحة للدين، لعدم توافقها مع مكتشفات العلم الحديث وتطوراتها.

• تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

ومع تطور العلوم، ومزيد من الاكتشافات التي تناقض ما هو سائد من تصورات ومعارف بدأت القطيعة تنحل لصالح التطور العلمي، ذلك أن المعنيين بالشأن الوجداني والإيماني لم يكونوا قادرين على تطوير تصوراتهم المستقرة في وجدانهم، مما جعل الفجوة تزداد بين الدين والعلم، ودفع بالمتعلمين الجدد إلى تمثل التصورات الجديدة للمعرفة ورفض التصورات التقليدية التي لم تستقر في وجدانهم أصلاً، وبهذه الطريقة أخذ تأثير المعارف الدينية يتراجع في وعي الناس لاتساع الفجوة التي تفصله عن تطور العلم.

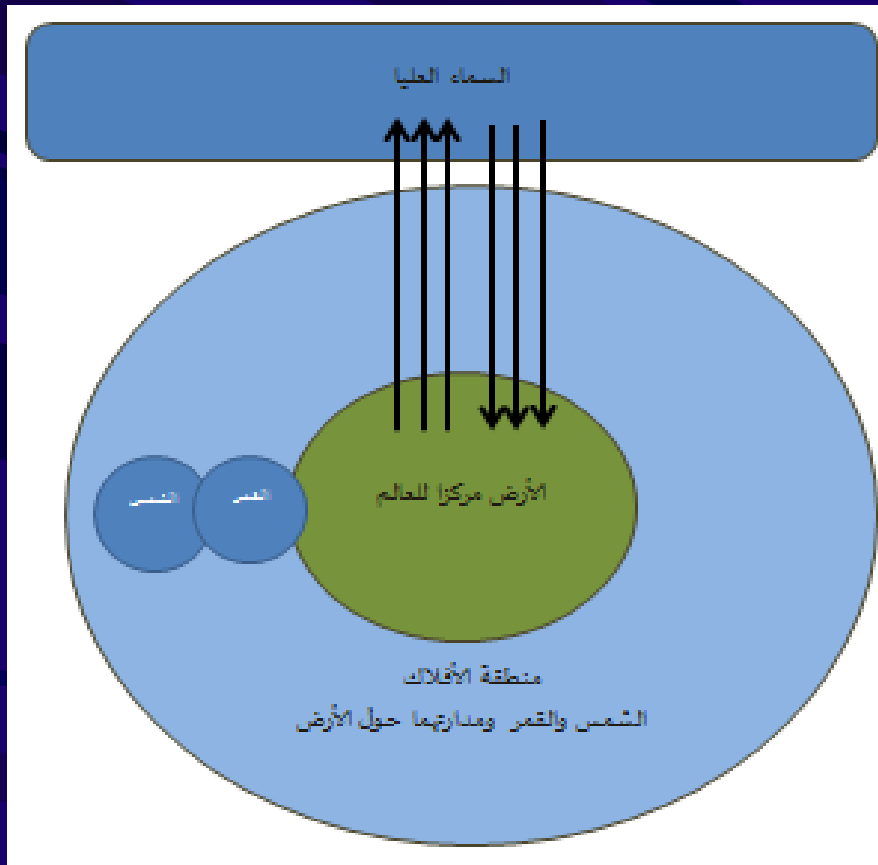
• تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

ويشكل مفهوم المكان واحداً من أعقد المفاهيم المرتبطة بالعقيدة الإسلامية، وتتطورات العلم في وقت واحد. فالمكان كما هو في متن العقيدة الحموية لدى ابن تيمية يأخذ طابعاً رأسياً وهرمياً، حيث يستوي الخالق عز وجل على العرش، مع وجوده في كل مكان، ويأتي الإيمان بوجود السموات السبع والأرضين السبع في هذا السياق، بينما تنتفي صفة الرأسية أو الهرمية للوجود والطبيعة في الدراسات العلمية عامة، وفي الدراسات ذات الصلة بالعلوم الطبيعية خاصة.

• تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

فالكون وفق التصور العلمي لأبدية له ولا نهاية، وآفاقه غير محدودة، و لا يمكن توصيف مكان بالارتفاع أو الانخفاض إلا على نحو نسبي يختلف باختلاف أية نقطة ارتكاز يتم الاعتماد عليها، فعندما انطلق الإنسان من الأرض إلى القمر انطلق من الأدنى إلى الأعلى، وعندما استقر هناك لحين من الزمن وقرر العودة، وجد الأرض في علو، وانطلق إليها أيضاً من الأدنى إلى الأعلى. وفي ذلك تكمن مشكلة التوفيق بين التصورات الإسلامية للمكان كما يقدمها بعض علماء المسلمين، وفي مقدمتهم ماورد في رسالة العقيدة الحموية، وبين ما يقدمه التطور العلمي للمفهوم نفسه.

- تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.



الشكل رقم ()
التصور الإسلامي للمكان بحسب
العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن
تيمية

• تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

والأرض تبعاً لهذا التصور تعد مركز العالم، فهي ثابتة لا تتغير، ولا تدور حول نفسها، إنما تدور الأفلاك حولها، بما في ذلك الشمس والقمر وغير ذلك من الكواكب، ولهذا جاءت فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز وفتوى الشيخ محمد بن صالح بن العثيمين لتنفي دوران الأرض حول الشمس، فصفة الجريان، كما وردت في القرآن الكريم ملحقة بالشمس والقمر والأفلاك، وليست ملحقة بالأرض، ومن خلال تعاقب الشمس في دورانها حول الأرض يتعاقب الليل والنهار.

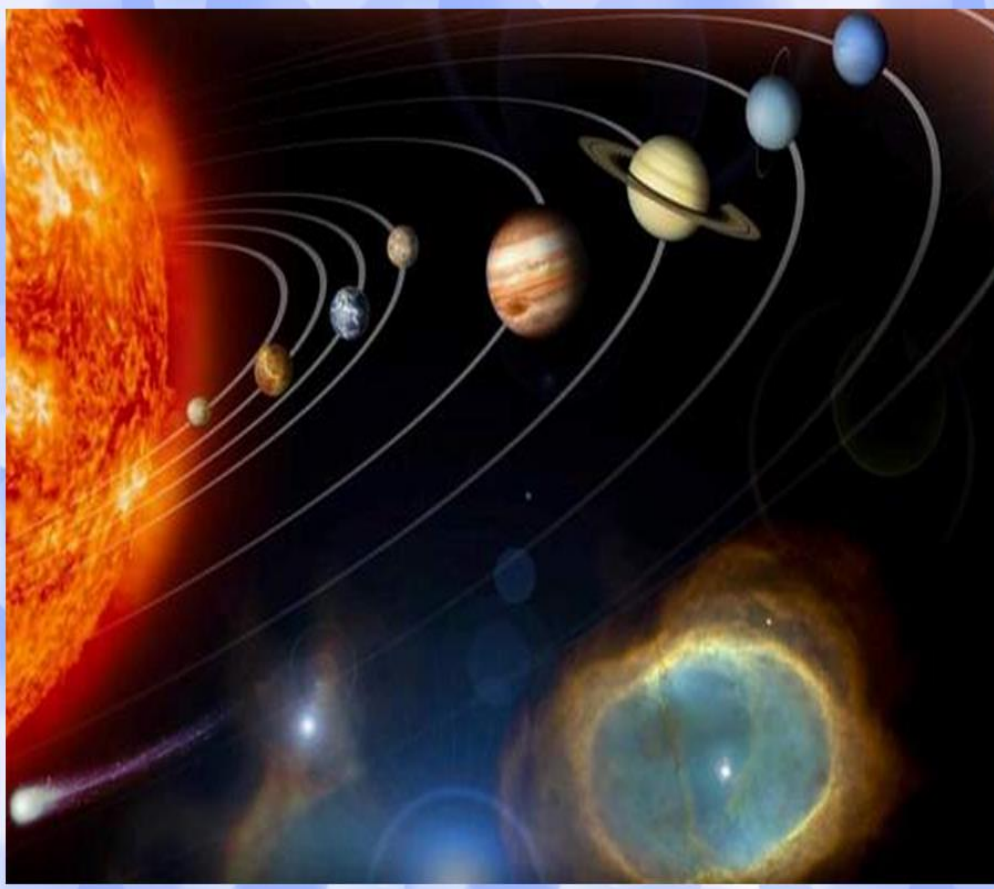
- تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.



الشكل رقم (١)

يبين صورة الأرض كما رآها
الإنسان وهو على سطح القمر
وكان ينظر إليها وهي في علو

- تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.



الشكل رقم ()
يبين صورة انتظام كواكب
المجموعة الشمية

• تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

الشكل رقم ()

يبين صورة جزء من النسيج الكوني
اللامحدود وتشكل مراكز أضواء
نجوم مضيئة تدور حولها الكواكب
العادية، وكل خيط من خيوط
النسيج يحوي على آلاف المجرات،
ويمتد لبلايين السنوات الضوئية

- تصور المكان في العقيدة الحموية لدى ابن تيمية بين مطلق النص ونسبية الفهم.

والسؤال الأكثر أهمية...

- هل نطوع الوقائع العلمية لفهمنا للتراث العربي والإسلامي....
- أم نطور فهمنا للتراث في ضوء تطور المعرفة الإنسانية... ؟